الباب الأول
البحث عن الأسلوب

الفصل الأوّل

معنى الأسلوب

قبل الكلام عن خصائص أسلوب الآيات المدينة نحن في حاجة إلي معرفة معنى الأسلوب لغة واصطلاحا .

الأسلوب لغة بمعني الطريق أو الفن من القول أو العمل[1] ويطلق الأسلوب في لغة العرب إطلاقات مختلفة، وقد يكون بمعني الطريق بين الأشجار والفن والوجه والشموخ بل لأنف والعنق والأسد

[1] لويس معلوف، المرجع السابق، ص ٣٥٣

وقد يكون بمعني طريقة المتكلم في كلامه وانسب هذه المعاني بالاصطلاح الآتي هو المعني الأخير أو هو الفن أو المذهب.[٢]

وفي الاصطلاح اختلف فيه العلماء، فقال بعضهم "الأسلوب" هو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه أو هو المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلم في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه أو هو طابع الكلام أو فنه الذي انفرد به المتكلم في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه[٣]

وقال الآخرون :

---

[٢] محمد بن عبد العظيم الزرقني،مناهل العرفان في علوم القرآن، ج ٢ ص ٣٠٢

[٣] نفس المراجع، ٣٠٣

إن الأسلوب طريقة يستعملها الكاتب في التعبير عن موقفه والإبانة عن شخصية الأدبية المتميزة عن سواها لا سيما في اختيار المفردات وصياغة العبارات والتشابيه والإيقاع ويرتكز علي أساسين أحدهما كثافة الأفكار الموضَّحة وحصبها وعمقها أو طرافتها . والثاني تَنَخُّل المفردات وانتقاء التركيب الموافق لتأدية هذه الخواطر بحيث تأتي الصياغة محصلا لتراكم ثقافة الأديب ومعاناته[٤]

وذهب البلاغيون إلي أن الأسلوب هو المعني المصوغ في ألفاظ مؤلفة علي صورة تكون اقرب لنيل الغرض المقصود من الكلام وافعل في نفوس سامعيه[٥] .

---

[٤] جبور عبد النور، المرجع السابق، ص ٢٠

[٥] علي جارم ومصطفي امين، البلاغة الوضحة، ص ١٢

وان تأملنا هذه التعاريف المتعددة عن الأسلوب وجدنا الاختلاف فيها يكون في التعبير فقط. والغرض والمعني واحد وجدنا هذه التعاريف يسد بعضها بعضا، فبعضها مفصل والبعض الآخر موجز. فمن هذه التعاريف يقدر أن يلخص أن الأسلوب هو الطريقة استعملها المؤلف في اختيار المفردات والتراكيب التي يتألف منها الكلام لنيل الغرض المقصود من كلامه. والأسلوب لا يحصر في لفظ وحده ولا المعني فقط وإنما هو مركب من عناصر مختلفة يعتمد بها المؤلف من ذوقه وتلك العناصر هو الأفكار والصور والألفاظ فأصبحت هذه العناصر وحدة قوية مرتبطة ارتباط وثيقا بين ألفاظه ومعانيه عند سامعيه وأوقع في نفس قارئيه.

وبناء علي ذلك فإن الخلاصة في معني الأسلوب كما بينه الدكتور محمد حسن عبد الله، فليس الأسلوب هو اللغة كما يتبادر في استعمال الكلمة أحيانا ولكنه طريقة التفكير والتعبير بكل ما يتكون منه هذا التفكير وما يدل عليه وبكل ما ينهض عليه التعبير من استعمال لغوي وتكوين للصورة وتشكيل للمادة من البداية إلي النهاية.[٦]

[٦] المرجع السابق، ص ٢٣١

الفصل الثاني

أقسام الأسلوب

ذهب علي الجارم و مصطفي أمين أن الأسلوب ينقسم إلي ثلاثة أقسام فهم الأسلوب العلمي والأسلوب الأدبي والأسلوب الخطابي.[٧]

١- الأسلوب العلمي: هو الأسلوب الذي هدفه إظهار الحقيقة وتجليتها للسامع والقارئ،ويمتاز بالوضوح والدقة والتحديد والترتيب المنطقي باستخدام البراهين والأدلة والبعد عن

---

[٧] البلاغة الواضحة، ١٢

التأنق والمبالغة والعزوف عن الخيال، وباستخدام المصطلحات العلمية المتصلة بالموضوع.[٨]

ولذلك كان الأسلوب العلمي أهدأ الأساليب ويصاغ في لغة بسيطة لأنه يخاطب العقل، فيحتاج إلي اعتماد علي الدليل والبرهان والتجربة حتى يمكن أن يتخللة الأحصاءات والأرقام والمصطلحات.

فلا بد أن يعني فيه باختيار الألفاظ الواضحة الصريحة في معناها الخالية من الاشتراك وان تولف هذه الألفاظ في سهولة وجلاً لا تصبح مثارا للظنون ومجالا للتوجيه والتأويل كالكتاب الدراسية والمقالة العلمية.

---

[٨] الأستاذ محمد غفران زين العالم, في علم البيان، ص د

كنظام ألفية ابن مالك

كلامنا لفظ مفيد كاستقم

واسم وفعل ثم حرف ن الكلم

واحده كلمة والقول عم

وكلمة بها كلام قد يؤم [٩]

٢- الأسلوب الأدبي هو الأسلوب الذي هدفه إثارة عاطفة السامع أو القارئ والتأثير في نفسه ويمتاز باختيار الألفاظ والتأنق،والمبالغة في التعبير والعناية،بالصور الخيالية والحرص علي الموسيقى العبارة وجرس الألفاظ. [١٠]

---

[٩] محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي، ألفية ابن مالك، ص ٩

[١٠] الأستاذ محمد غفران زين العالم "فى علم البيان" ص ٦

والأسلوب الأدبي هو الجمال ابرز صفاته، وأظهر مميزاته،ومنشأ جماله ما فيه من خيال رائع، وتصوير دقيق، تلمس لوجوه الشبه البعيدة بين الأشياء، وإلباس المعنوي ثوب المحسوس واظهر المحسوس، في صورة المعنوي[١١]

وقد يتظاهر الأديب بإنكار أسباب حقائق العلم، ويتلمس لها من خياله أسبابا تثبت دعواه الأدبية وتقوي الغرض الذي ينشده.

فجملة القول إن هذا الأسلوب أن يكون جميلا رائعا بديع الخيال، ثم واضحا قويا.

مثل قال البحرى في وصف بركة المتوكل.

---

[١١] السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص ٣٥

ينصب فيها وفور الماء معجلة

كالخيل جارجة من حبل مجريها

كأنما الفضة البيضاء سائلة

من السبائك يجري في مجاريها

فحاجب الشمس أحيانا يضاحكها

وريق الغيث أحيانا يباكيها

ازا النجوم تراءت في جوانبها

ليلا حسبت سماء ركبت فيها[١٢]

هذا الأسلوب خاطب عاطفتنا بالعبارة الموثرة واللفظ المنتقى، ويستعين بالخيال ويبالغ في الوصف ليشير إعجابنا ويهز عاطفتنا ولذلك يطلق هذا الأسلوب بالأسلوب الأدبي لكثرة تداوله في المجالات الأدبية فهو يمتاز باختيار الألفاظ والتأنق والمبالغة في

---

[١٢] الأستاذ محمد غفران زين العالم، في العلم البيان، ص ٣

التعبير والعناية بالصور الخيالية والحرص علي موسيقي العبارة وذلك ليثير العاطفة ويهز المشاعر.

٣- الأسلوب الخطابي

في هذا الأسلوب تبرز قوة المعاني والألفاظ وقوة الحجة والبرهان، وقوة العقل الخصيب.

وفي هذا الأسلوب يتحدث الخطيب إلي إرادة سا معية لإثارة عزائمهم واستنهاض همهم، والجمال هذا الأسلوب ووضوحه شأن كبير في تأثيره ووصوله إلي قرارة النفوس[١٣]

---

[١٣] أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص ٤٦

ومما يزيد في تأثير هذا الأسلوب منزلة الخطيب في نفوس سامعية وقوة عارضته، وسطوع حجته ونبرات صوته، وحسن إلقائه، ومحكم إشارته.

فان الأمثلة لهذه الأسلوب خطبة على بن أبي طالب رضي الله عنه لما أغار سفيان بن عوف الأسدى على الأنبار وقتل عامله عليها.

هذا أخو غامد قد بلغت خيله الأنبار وقتل حسان البكري وأزال خيلكم عن مسالحها وقتل منكم رجالا صالحين.

وقد بلغني إن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فينزع حجلها، وقلبها ورعاثها، ثم انصرفوا وفرين ما نال رجلا منهم كلم ولا أريق لهم رم فلو أن رجلا مسلما مات من بعد هذا أسفا ما كان به ملوما، بل كان عندي جديرا.

فواعجبا من جد هؤلا في باطلهم وفتنا لهم عن حقكم، فقبحا لكم حين صرتم غرضا يرمى، يغار عليكم ولا يغيرون، وتغزون ولا تغزون، ويعص الله وترضون.[١٤]

إذا قرأنا النص السابق فنعلم كيف تدرج ابن أبي طالب فى إثارة شعور سامعية حتى وصل إلى القمة فإنه أخبرهم بغزو الأنبار اولا، ثم بقتل عامله، وان ذلك لم يكن سفيان ابن عوف فأغمد سيوفه في نحور كثير من رجالهم وأهليهم.

■ ثم توجه في فقرة الثانية إلي مكان الحمية فيهم، ومثار العزيمة والنخوة من نفس كلى عربي كريم ألا وهو المرأة، فإن العرب تبذل

---

[١٤] على الجارم ومصطفى آمين، البلاغة الواضحة، ص ١٦

أرواحها رخيصة في الدور عنها،والدفاع عن خدرها فقال : إنهم استباحوا حماها، وانصرفوا آمين.

■ وفي فقرة الثالثة اظهر الدهس والحيرة من تمسك أعدائه بالباطل ومناصرته وفشل قومه عن الحق وخذلانه ثم بلغ الغيظ منه مبلغه فعيرهم بالجبن والخور.

الفصل الثالث

أسلوب القرآن

ظهر الكتاب الأكبر في الجزيرة العربية في أواخر القرآن الخامس للمسيح ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم، وكان الأدب العربي حينئذ في غاية السمو وإنه المثل الأعلى الذي يجب أن يتحدى به كل عربي أراد أن يكتسب دوقا أدبيا رفيعا وإحساسا فنيا مرهفا وفي مثل هذه الظروف الأدبية الرفيعة نزل القرآن الكريم.

فالقرآن اصطلاحا له تعاريف، منها:

القرآن هو كلام الله تعالي الذي نزل به الروح الآمين على قلب رسول الله محمد بن عبد الله بألفاظه العربية ومعانيه ألحقه ليكون حجة للرسول علي أنه رسول الله ودستورا للناس يهتدون بهداه وقربة

يتعبدون بتلاوته وهو المدون بين دفتي المصحف المبدؤ بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس المنقول علين بالتواتر كتابة ومشافهة جيلا عن جيل محفوظا من أي تغيير أو تبديل[١٥]

ومنها أن القران هو الكلام المعجز المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم المكتوب فى المصاحف المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته[١٦]

فالقران هو كلام الله الذي أوحى إلى محمد صلى الله عليه و سلام كما أوحى التوراة إلى موسى عليه السلام والزبور إلى داود عليه السلام والإنجيل إلى عيسى عليه السلام وانه معجزة من معجزات التي أظهرها الله أمته فى حياته صلى الله عليه وسلام أو

---

[١٥] عبد الوهاب خلاف "علم أصول الفقه" ص ٢٣

[١٦] محمد عبد العظيم الرزقانى المرجع السابق ج ا ص ١٩

بعد وفاته فانه منبع المعارف والمعاني والأساليب التي ساعت ذلك العصر وحتى حين

ومعنى أسلوب القران هو طريقة القران التي انفرد بها فى تأليف كلامه واختيار ألفاظه[١٧]

فالعرب الذين كانوا يجتذبون بالأدب بدا يجذبون إلى الاهتمام بالقران لأنهم يجدون فى القران شيأ جديدا يخالف ما قد وجدوا أدبهم وهم يرون ما فى القران يخالف اختلافا بينا بما قد وجدوا فى أشعارهم التي استملت الأوزان والقوافي والسجع ومع ذلك فان القران يستطيع أن يسكت ألسنتهم على أن يأتوا بمثله وكان بعضهم لبعض ظهيرا تصديقا لما قال تعالى فى القران (وان كنتم فى ريب مما نزلنا

[١٧] نفس المرجع ج ٢ ص ٣٠٣

على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهدائكم من دون الله إن كنتم صادقين)[١٨]

وفى قوله عز وجل (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القران لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا[١٩]

وبهذا التعبير الخارق للعادة اصبح القرآن أمرا يغلب على الطبع وما هو من أساليب الناس وليس من شيئ فى أسلوب القران ويغض من موضعه, أَو يذهب بطريقته أَو يدخله فى شبه من كلام الناس, أَو يرده إلى طبع معروف من طباع البلغاء, وما من عالم أو بليغ إلا وهو

---

[١٨] القران الكريم سورة البقرة اية ٢٣

[١٩] القران الكريم سورة الاسراء اية ٨٨

يعرف ذلك ويعد خروج القران من أساليب الناس كافة دليلا على إعجازه, وعلى انه ليس من كلام إنسان.[٢٠]

وإذا قيل إن القرآن يكون خارق العادة أساليب الناس عامة فهناك عامل استطاع أن يرتفع القران إلى المستوى العالي فهو أن أسلوب القرآن فى نظم آياته له خاص يخالف ما ألفه الناس فهذه الخصائص هي:

الخاصة الأولى: مسحة القرآن النظمية فى نظامه الصوتي وجماله اللغوي والمراد بنظامه الصوتي، اتساق القرآن وأتلافه فى حركته وساكناته، ومداته وغناته، واتصالاته وسكتاته، اتساقا عجيبا،

---

[٢٠] مصطفى صادق الرافعى "تاريخ آداب الارابي، ص ٢٠١

وائتلافا رائعا، يسترعى الأسماع ويستهوى النفوس، بطريقة لا يمكن أن يصل إليها أي كلام آخر من منظوم ومنثور.[٢١]

والمراد بجماله اللغوي هو تلك الظاهرة العجيبة التي امتازبها القرآن فى رصف حروفه وترتيب كلماته ترتيبا دون القرآن كل ترتيب ونظامه بحيث تعاطان الناس فى كلامهم.[٢٢]

وبعد أن عرفنا خاصية أسلوب القرآن، فكان أسلوب القرآن يقع فى نفس سامعية لأن القرآن يهتم جمال اللفظ وجمال الصوت معاوذ ذلك مثل ما حدث من سبب إسلام عمر بن الخطاب بعد أن سمع تلاوة القرآن فى بيت أخته فاطمة بنت، الخطاب من سورة طه.

الخاصية الثانية: جودة سبك القران وأحكام سرده.

---

[٢١] محمد عبد العظيم الزرقاني، المرجع السابق ص ٣٠٩

[٢٢] نفس المرجع، ص ٣١٢

والمقصود من هذا أن القرآن يتناسب تناسبا ما بين أجزائه ويتماسك تماسكا كلماته ويترابط ترابطا تاما بين جمله وآياته وسوره، مبالغا لا يدانيه فيه كلام آخر، مع طول نفسه، ومقاصده متنوعة وافتنانه وتلوينه مختلفة فى الموضوع الواحد .[٢٣]

فمن هذا وجدنا أن أسلوب القرآن يتميز بالانسجام بين أحرفه وألفاظه وآياته وسوره وأجزائه فكان هذا التركيب قطعة واحدة، وإذا انتقل من غرض إلى غرض ما وجدنا فيه اضطربا .

ونستدل بذلك على سبيل المثال ترتيب سورة القرآن بالسورة قبلها أو بعدها كسورة الفيل فإن الله ذكر فيه أصحاب الفيل الذين

---

[٢٣] نفس المرجع ، ص ٣٠٥

أرادوا أن يغزوا بفيلهم الكعبة فأهلكهم الله و فى سورة بعدها وهي سورة قريش أمرهم الله أن يعبدوا رب هذا لبيت الحرام.

أن هذا السورة متعلقة أيضا من جهة الحروف أو من الناحية الموسيقية بسورة قريش وذلك لأن اللام فى قوله تعالى "كعصف مأكول" يليها حروف اللام أيضا فى قوله تعالى "لإيلاف قريش".

وأما منا سبتها من حيث المعنى يستطيع أن نراها علاقتها القوية بسورة قبلها وهي سورة الهمزة حيث أنها فيها "إن المال لا يغنى من الله شيئا وهنا أقام الدليل على ذلك يقصص أصحاب الفيل"[٢٤]

الخاصية الثالث : أرضاؤه العامة والخاصة.

---

[٢٤] احمد مصطفى المراغى "تفسير المراغى" الجلد العاشر ص ٢٤١

والمقصود من هذا أن القرآن إذا قراه العامة والخاصة فهم أحسوا جلاله, وذاقوا حلاوته, ولكن الخاصة منه أكثر فهما من العامة لان الخاصة يفهمون من نواحي متعددة.[٢٥]

فمما سبق نلخص أن القرآن إذا قراه الناس المتنوعوا الطبقات فانهم سيشعرون حلاوته وتلاوته كل قدر مستواهم.

الخاصية الرابعة : ارضاؤه العقل والعاطفة.

ومعنى هذا أن أسلوب القرآن يخاطب العقل والقلب معا ويجمع الحق والجمال معا, أي أن القرآن يستعمل الأسلوب البارع، الذي يقنع العقل ويمتع العاطفة في وقت واحد.[٢٦]

---

[٢٥] محمد عبد العظيم الزرقانى : المرجع السابق, ج ٢, ص٣١٣

[٢٦] نفس المكان ص ٣١٣ مع التصرف

وذلك مثل قوله تعالى : "أولم ير الإنسان إنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين. وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم. قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم. الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نار فإذا أنتم منه توقدون. أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقدر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلق العليم. إنما أمره إذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون. فسبحن الذي بيده ملكوت كل شيئ واليه ترجعون."[٢٧]

فادا تتبعنا هذه الآيات وجدنا منها الجمال الساحر والإعجاز الباهر يخاطب عقل الإنسان وقلبه معا بان صح الأدلة فى هذه الكلمات المتعددة.

---

[٢٧] القرآن الكريم, سورة يس, آية ٧٧-٨٣

إن القرآن هنا يخاطب العقل والعاطفة فى وقت واحد وانه يستخدم الأسلوب العلمي الذي يقنع العقل ببيان بدء الخلق من ماء مهين أي نطفة لا ثبت الحجة على المنكرين بقدرة الله على أحياء العظام يوم البعث، وكذلك يستخدم الأسلوب العربي ولم يترك القرآن هنا جمال الألفاظ وكمال البيان وفخامة الأسلوب الذي يمتع العاطفة ويخاطبها بتشبيه أحياء العظيم الدميمة يوم البعث بخلق الإنسان واخرج النار من الشجر الأخضر وخلق السموات والأرض ثم اختتمت الآيات بإلزام الحجة عليهم بأن ما كل ما أراده الله كن وأنه بيده ملكوت كل شيء.

وظهر لنا من الأمثلة أن القرآن يستعمل الأسلوب العلمي والأسلوب الأدبي في أن واحد يقنع العقل ويمتع العاطفة وهما لا

يجتمعان في كلام الناس في وقت واحد، لأن كلامهم بالأسلوب العلمي لا يرضيهم في الناحية الأدبية وكذلك إذا استخدموا الأسلوب الأدبي فلا يرضيهم في الناحية العلمية.